

الفصل الثانى

الوحدة المظلومة

www.anwarsadat.org

الميثاق الثنائى والضمان الجماعى

لم كان الاتفاق الثنائى بين مصر وسوريا . . .

وبإمضائه اجتاحت الشعوب العربية موجة فرح طاغية أذهلت الغرب والشرق وأوقعت الرعب فى قلب إسرائيل .

فقد أحس العرب لأول مرة منذ أم طويل بالتفاؤل فى مستقبل أيامهم ، وأحس العرب لأول مرة بإرادة شعوبهم تتحقق فى شكل عملى عربى خالص لا تأتية السيطرة من حلف أجنبى ولا يأتية النفوذ الاستعمارى .

ولم تلبث إنجلترا وفرنسا أن أعلنتا معارضتهما لقيام هذا الحلف فكان انتصارا آخر للعرب وتأكيداً لمغزاه الذى طالما نادى به شعوب العرب ولم تكن تجد إلى تحقيقه سبيلاً .

ومن بين هذه الفرحة الطاغية ، نادى مناد من العرب وقال :

" مهلاً يا قوم ، أن هذا الميثاق سيقسم العرب على أنفسهم ، وأنه إذا كان ولا بد من

عمل اتفاقات ، فلنكن اتفاقات تجمع الدول العربية كلها حرصاً على الوحدة العربية "

قول فى ظاهره الوحدة والعاطفة الأخوية ، وفى باطنه قصة مأساة طويلة بدأها المستر

أيدن فى مجلس العموم البريطانى سنة 1942 يوم أن أوعز بقيام جامعة للدول العربية

فقامت .

القصة كاملة

وليعدرنى أخوتى من العرب فنحن فى مجال الجد ، وسأكون صريحاً بقدر ما عانت شعوبنا من آلام ، وسأكون صريحاً كما أعلننا فى سياستنا العربية بعد الثورة وقلنا فيها أننا قررنا إلا نناق أو نخادع أو نضل .

نعم قررنا إلا نناق أو نخادع أو نضل فخير للشعوب العربية ألف مرة أن نقول لهم أن حكامكم اجتمعوا واختلفوا من أن نقول لهم أن حكامكم اجتمعوا واتفقوا وهم أبعد ما يكونون عن الاتفاق .

فما هى أذن الجامعة العربية والوحدة العربية وميثاق الضمان الجماعى العربى المسكين وأخيراً ما هى قصة ميثاق سوريا ومصر ، على ضوء ما أسلفت من مبادئ !
تبدأ القصة كما قلت سابقاً بتصريح من المستر أيدن سنة 1942 الذى أوعز فيه بقيام جامعة الدول العربية فقامت وكانت الدول العربية جميعاً وقت ذاك أما تحت النفوذ البريطانى ومنها مصر ، وأما تحت النفوذ الفرنسى ومنها سوريا فيما عدا المملكة العربية السعودية واليمن .

الانقسام

وكانت سياسة هذه الدول الخاضعة للنفوذ البريطانى والفرنسى تسير دائماً فى خط يلتقى مع رغبات بريطانيا وفرنسا ، ولذلك كانت بريطانيا سعيدة بالجامعة العربية وفرنسا راضية عنها ، ولا يمكن أن ينكر أنها أدت للعرب خدمات معينة ، ولكنها كانت دائماً فى مجالات ضيقة محدودة .

ثم انتهت الحرب العالمية الثانية .

وهبت شعوب العرب تطالب بالحرية . وبالتخلص من الاستعمار ومن سيطرته ومن نفوذه .

واستجابت حكومات وتخاذلت حكومات .

وظهر الانقسام داخل الجامعة العربية ، ورغم ذلك كانت الجامعة تصدر قراراتها دائماً بالإجماع !

لقد كان الاختلاف دائماً واضحاً ، بل أن خطورته كانت تتمثل فى أنه اختلاف فى التفكير والأهداف .

ورغم ذلك كانت الجامعة تصدر قراراتها دائماً بالإجماع !

سبب الكارثة

وهنا لابد لى أن أقف قليلاً وأقول :

– أن هذا الخداع الذى مثلته الجامعة على مسرح الشعوب العربية بقراراتها الإجماعية فى الظاهر واختلاف وجهات نظر دولها فى الباطن كان ولا يزال موطن الداء ، والكارثة التى حلت بكيان الأمة العربية تحت مسميات بريئة هى الوحدة العربية ، والجامعة العربية ، وهى نفس المسميات التى ينادى بها المنادى اليوم لكى يشغل العرب عن فرحتهم الطاغية الشاملة بالسلاح والميثاق السورى المصرى .

أنى أريد أن أذكر العرب كيف ضاعت فلسطين تحت اسم الوحدة العربية .

وأريد أن أذكر العرب كيف ضاعت فلسطين تحت اسم وبصر الجامعة العربية .

أريد أن أذكر العرب كيف هزمت جيوشهم السبعة أمام العصابات الصهيونية .

أريد أن أذكر العرب أن أتدفعنا – نحن العرب – وراء العواطف وتخرجنا من مصارحة بعضنا البعض وأصدانا قرارات إجماعية لا نؤمن بها ، كل هذا قد قضى على شعب عربى بأكمله بطريقة لم تحدث عبر التاريخ .

وهكذا قضت سياسة المجاملة والعواطف ودفن الرعوس فى الرمال ، أقول قضت على

شعب عربى بأكمله وأورثت بقية العرب الضعف وعدم الثقة فى النفس .

وأعود إلى حديثى .

صراع عجيب

ضلت الجامعة السبيل أذن بعد أن اتخذت لنفسها سياسة تقوم على خداع شعوبها بالقرارات الإجماعية ، والمجاملة والخوف من أن يقال أن هناك انقساماً .

إلى أن كانت حرب فلسطين . وكم توالى اجتماعات الجامعة قبل الحرب وفي أثنائها وبعدها وكم كانت قراراتها أيضا تثرى باتفاق دولها في كل شئ ! والتاريخ والحقيقة يقولان أن هذه الدول لم تتفق على شئ كانت الحقيقة أن في الجامعة قيادات متعددة ، ومصالح متعارضة ، ووجهات نظر متنافرة .

ثم بدأ صراع عجيب ، لم يكن ضد إسرائيل وحدها ولكنه كان صراعاً ذا شعبتين .
الشعبة الأولى صراع ضد إسرائيل .

والشعبة الثانية صراع بين الدول الأعضاء بعضهم ضد بعض .
ومن هنا ، من الشعبة الثانية ، نفذ الاستعمار بين الدول الأعضاء المتباغضة ، واستغلت الصهيونية الفرصة فاستطاعت أن تنزل بالعرب هزيمة ساحقة .
ترى هل ما أقوله اليوم جديد على العرب ؟ أن كل عربي يشهد عليه .
ثم انتهت حرب إسرائيل .

وحاولنا أن نوراي هزيمتنا التراب لكي نبدأ صفحة جديدة نصحح بها الماضي وما فيه من أخطاء .

فماذا حدث ؟

لقد بدأ صراع جديد ، لم يكن هدفه في هذه المرة إسرائيل وإنما كان هدفه بعضنا البعض .

وفي قاعة الجامعة بدأت المهزلة من جديد .

لا بد أن نخرج على الشعوب بقرارات إجماعية !

أو بمعنى أصح . إلى الخداع من جديد ونسينا فلسطين و كارثة أهلينا اللاجئين ، وحتى

لو أدى الخداع إل أن تصبح الأمة العربية كلها من اللاجئين !

المهزلة

وراحت تتتابع فصول المهزلة من جديد .

واجتمعت الدول العربية عام 1950 وعقدت فيما بينها ميثاق للضمان الجماعى .
 وقعت عليه الدول بالإجماع كما تقضى سياسة العواطف والمجاملة ودفن الرعوس فى
 الرمال .

وقعوا جميعاً لا من أجل دوافع عسكرية ، ولا من أجل أمن العرب ولا من أجل الدفاع
 عن مقدسات الوطن العربى ولا من أجل الحيلولة أن تلاقى أى دولة عربية أخرى مصير
 الشقيقة فلسطين .

ولا من أجل خلافهم مع إسرائيل .

وأما وقوعه ليقال أنهم متفقون ثم وضعوه على الرف ساعة أن انتهوا من توقيعه بدلا
 من تنفيذه !

أليست هذه هى الحقيقة التى يعرفها كل عربى !

أن العرب لم ينفقوا فى جامعتهم على شىء إلا على العواطف الجذابة والأمانى الرقيقة
 والخيال الخلاب .

وهكذا بدأت الشعوب العربية تحس الخطر .

وكنا نحس نحن مثل هذا الشعور كما يحسه كل عربى كنا نشعر أن هناك حاجزاً يحول
 بين الدول العربية وبين تنظيمها لدفاعها ضد إسرائيل .

وكنا نشعر أكثر من ذلك أن إسرائيل قد أمنت واطمأنت إلى أن العرب فى أمورهم
 لاهون وأن العرب وقد لحقتهم الهزيمة لن يفكروا فى أنهم قد تلحقهم فى المستقبل هزيمة
 أخرى ، فقد نسى العرب كارثة فلسطين ، ونسوا أكثر من ذلك عدوهم الأساسى الذى
 اغتصب فلسطين .

وأنهم مشغولون بمشاحناتهم وخلافاتهم وأحقادهم !

الثورة

وقامت الثورة المصرية .

وقلنا للعرب أننا لن نناقق ولن نخادع ولن نضل .

وقلنا لهم أيضا يجب أن ننبه الأمة العربية إلى ما هي فيه من خطر داهم وقلنا :

— يجب أن يوضع ميثاق الضمان الجماعى العربى موضع التنفيذ فى الحال إذا أريد لنا

أن نحيا أو نعيش فى سلام وبدأنا باتصالات عدة .

وتبيننا — ويا لسوء ما تبيننا — بعد هذه الاتصالات أن هناك خلافاً أصيلاً خطيراً فى

وجهات النظر .

وجدنا من يؤمن أن العرب لن يستطيعوا الدفاع عن أنفسهم إلا إذا اعتمدوا على دولة

كبرى تقوم بواجب الحماية لهم وعليهم فى حين أن أيماننا منذ البداية هو فى التحرر من

كل ألوان الحماية والوصاية التى كان يفرضها علينا من فرضوا إسرائيل وثبتوها ومزقوا

فلسطين ومن عليها .

وأيماننا أيضا هو أن العرب باتحادهم يكونون قوة تستطيع أن ترغم الدول الكبرى على

أن تحس بقيمتهم وقوتهم وقدرتهم على الدفاع عن أنفسهم ، فتتغير الموازين وتصبح

الثمانون تساوى ثمانين لا كما هى اليوم فى موازين الغرب ، أن مليوناً من اليهود الأفاقين

يساوى ثمانين مليوناً من العرب المساكين ! واجتمع العرب وتداولوا ، وتباحثوا ، ثم

تداولوا وتباحثوا ، ثم انفضوا ، ثم اجتمعوا مرة أخرى لينفضوا .

وظل ميثاق الضمان الجماعى حبراً على ورق .

صرخة جمال

وأصبح جلياً أن صراخ جمال وهو ينبه للخطر الداهم قد ذهب فى واد . لقد صرخ

جمال :

— هل ستنظرون حتى تأخذ إسرائيل المباداة ؟

– هل ستنظرون حتى تقع الواقعة ؟

– هل ستنظرون حتى تبدأ إسرائيل عملياتها للتوسع ضدنا فنعود حينئذ إلى الاجتماع

لكي نتداول ونتباحث ثم نناقش ونتفق ؟

أن هذا هو القضاء على الأمة العربية والقومية العربية .

أن الزمن لن ينتظرنا حتى نقرر ، فستكون إسرائيل قد قررت ثم حققت كل ما تريد من

أهداف وأطماع .

أن الخطر الذي يجابهنا أكبر مما نتصور ، وسيعيد التاريخ نفسه مرة أخرى .

ستكون هناك سبع قيادات عربية أمام قيادة يهودية واحدة وستهزم القيادة الواحدة

القيادات السبع مرة أخرى .

أننا بعملنا هذا نساعد إسرائيل على أن تتفرد بنا واحد بعد الآخر ، وسنظل نتنافس ثم

نتنافس ، ونتداول ثم نتباحث وأسدل الستار على مأساة التداول ثم التباحث .

التهديد

وظل ميثاق الضمان الجماعى العربى حبراً على ورق كما أراد له موقعوه ورأت إسرائيل وسمعت ، واندفعت تقوى نفسها وجيشها وتحفزت ، فالقوم فى سبات الخلاف والضغينة والانقسام .

وهددت إسرائيل وتبجحت .

فقال بن جوريون : " سنجبر العرب على قبول شروطنا "

وقال مناحم بيجين :

" أن إسرائيل الموعودة تمتد من النيل إلى الفرات ويجب أن نعمل لذلك "

وهكذا كانت نهاية الضمان الجماعى والدفاع المشترك العربى !

لم نتفق ، ولم نستطع أن نقرر وكان علينا نحن الذين نحس بالخطر المباشر من إسرائيل أن نبحث عن حل آخر فقد داهمنا خطر جديد .

الضغط

أن الدول التى تدعى لنفسها حق النفوذ فى هذه المنطقة أخذت تضغط بوسائل متعددة ، فقد منعت عنا السلاح الذى نطالب به لنحمى أنفسنا من إسرائيل .

كانت تقول لنا أن الخطر الاساسى هو خطر هجوم شيوعى روسى ، ثم اشتربت فى صراحة أنه لى تعطينا كميات محدودة جداً من الأسلحة يجب أن تنضم الدول العربية فى حلف للدفاع تحت سيطرتها ضد الخطر الشيوعى الخارجى ، وإسرائيل فى داخل المنطقة تستعد للتوسع والعدوان .

ومرة أخرى انقسم العرب على أنفسهم أكثر مما هم فيه من انقسام .

فاستجابت دولة عربية لهذا الضغط ووقعت حلفاً مع مؤسسى إسرائيل .

وترددت دولة أخرى ، وقاومت ثالثة ، إلى آخر ما يعلمه كل الناس من الماضى القريب .

كان الغرب يعتقد أن خطته هذه هي بداية انهيار العرب لكي يعودوا إلى أحضان الوحدة
تلو الأخرى طلباً للحماية فاقدين بذلك قوميتهم ومنتكرين لأهدافهم ومذعنين لسياسته
ورغباته .

الاعتداء

ثم تحركت إسرائيل .

وفى يوم 28 فبراير سنة 1955 اعتدت إسرائيل على الحدود المصرية اعتداءً مدبراً
أقره مجلس الوزراء الإسرائيلي .

وكان هذا الاعتداء هو ناقوس الخطر الذى أفاقت عليه بقية الدول العربية بعد أن
تخلفت واحدة .

لم تخاذل هذه البقية ، ولم ترتد تحت أقدام الغرب لتطلب حمايته ، ولكنها على العكس
أفاقت وتنبهت .

وبرغم ذلك أستمروا ميثاق الضمان الجماعى حبراً على ورق

وبدأت الدسائس والضغط ، وأصبح واضحاً أن هدف هذه الدسائس أن ييأس العرب ولا
يجدوا لهم من سبيل للدفاع عن كياناتهم وحمايتهم حدودهم سوى طريق التحالف مع دولة
كبيرة تتولى واجب الدفاع عنهم .

نهاية الضمان

وبدأنا نؤمن أيماناً لا يتطرق إليه شك أن ميثاق الضمان الجماعى العربى لن يوضع فى
يوم موضع التنفيذ ، وسيبقى دائماً حبراً على ورق .

وأصبح من المحتم على الدول العربية التى تشعر بالخطر اليهودى والطمع الصهيونى
أن تجد الوسيلة الناجحة لتنسيق الدفاع بينها ، فكان أن اتفقت سوريا ومصر اتفاقاً عملياً
ينص على قيادة موحد لجيش سوريا وجيش مصر .

وبذلك تحقق — لأول مرة — أحد الأهداف الكبرى التى طالما نادى بها شعوب العرب .

وبذلك اصبح على إسرائيل اليوم أن تفهم أنها إذا فكرت فى العدوان فإن مصر وسوريا لن تتشاورا ثم تتناقشا ثم تتداولوا وأخيراً تتباحثان ، ولكنهما ستعملان .

ستعملان لا بقيادتين ، وإنما بقيادة واحدة ستجابه قيادتها الواحدة .
قيادة واحدة تعمل فى شمال إسرائيل فى نفس الوقت الذى تعمل فيه فى جنوب إسرائيل .

قيادة واحدة كان مجرد الإعلان عنها فزعا فى إسرائيل ، وسيعلم كل مت تحدثه نفسه بالعدوان كيف تكون الرهبة وكيف يكون القتال .

فإلى هؤلاء الذين يقولون أن ميثاق سوريا ومصر قد يقسم الدول العربية على نفسها أقو :

— أنكم تتنكرون لتاريخ الأمة العربية ومآسيه ، وتكفرون بالوطن العربى وما يشقيه ، وتنسون فلسطين وما دهاها وشرد أهلها وسود ضحاها .

أن الأمة العربية لن تتفرق أبداً لأنها أمة واحدة .

وإذا لم تستطع قيادتها أن تجمع قيادتان فيها على هذا الأمر بدلا من أن يتفرق الكل طرائق قديداً .

لقد شعرت إسرائيل بخطر هذا الميثاق ودلالته ، فقامت لتنتقم من سوريا بعمل كمين فى الظلام لجنود سوريا الشجعان أن إسرائيل لن تستطيع أن تواجه سوريا فى النهار بعد اليوم ، لأنها تعلم أن هذا يعنى أن عليها أن تواجه فى نفس الوقت مصر وجيش مصر وإمكانيات مصر .

وأخيراً ، أن إنجلترا عارضت هذا الميثاق لأنه سيكون آخر مسمار فى نعش الوصاية التى تدعيها علينا .

وعارضته فرنسا لأنها تعتبره تصفية نهائية لنفوذها الذى تفترض وجوده على بعضنا

وبعد

أليس خيراً لنا ولشعبونا الطيبة أ، يتحد جزء منا ليووجه الخطر بميثاق ثنائى أو بمواثيق ثنائية ، من أن ننادى بوحدة العرب ونحن نعمل فى الحقيقة لأذكاء الفرقة والاحن والأحقاد !

أننى أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفق قادة العرب إلى ما فيه خير الشعوب .

www.anwarsadat.org

فصل ومخرج وأبطال

كنت قد ظننت في وقت من الأوقات أن هذه القصة قد وضحت مواقفها وانفكت عقدها الأثرية التي لازمت سطورها ، بعد أن تغير مجرى الحوادث ، وأصبح الأسلوب هو المصارحة لا المجاملة .

وهو الكشف عن موطن الداء لا التماس العذر وخداع الشعوب بالوفاق الوهمي والعبارات المعسولة الجوفاء .

كنت أظن أن هذه القصة قد خرجت على شعوب العرب بنهايتها ، ولكن يشاء القدر إلا أن يخرج علينا فصل جديد ولقد لجأ كاتبوا الفصل الجديد إلى ما لجأ إليه الأبطال القدامى لسبك أدوارهم فنادوا بالنداء الخالد الذي تهفو له كل النفوس نداء الوحدة العربية ، وجمع الكلمة ، وتوحيد الصفوف .

وليس أحب إلى قلب كل عربي من أن تحقق هذه الوحدة وأن تجتمع الكلمة وأن يتوحد الصف .

أقولها وقد لمستها من كل مواطن عربي في لبنان وفي سوريا وفي الأردن وفي بغداد وفي المملكة العربية السعودية وفي مصر بل وفي كل مكان يعيش تحت سمائه عربي واحد من المحيط الأطلسي إلى الخليج الفارسي .
ولكن . . .

أن الفصل الجديد يحوى مفاجأة مذهلة . . .

ففي نفس الوقت الذي أذاع فيه راديو عمان متعمداً تشويه الحقيقة لحاجة في نفس أبطال الفصل الجديد ، تجد أن جريدة التيمس الوقورة تنبرى لكي تعلق وتحلل قلب أن تسمع كلمة مصر .

وفوجئنا لأول مرة بالتميس تبكى على الوحدة العربية تماماً بنفس النغم الذي يردده أبطال الفصل الجديد .

أن التيمس تقول بالحرف الواحد :

" أن الرئيس المصري يرى نفسه الزعيم الذى لا منازع له فى العالم العربى .
" وأن لبنان ومن المحتمل سوريا أيضاً قد لا تتقبلان رفض الرئيس جمال الاجتماع
بالارتياح . . . "

ثم قالت :

— الرئيس الأردنى سمير الرفاعى فشل فى التقريب بين مصر والعراق وأنه إذا عقد
هذا المؤتمر فأن واجبه الأول هو تقرير سياسة بشأن إسرائيل يكون فيها الرئيس المصرى
أحد الأعضاء المشتركين وليس الممثل للدور الأول .

ثم تابعت التيمس تعليقها قائلة :

— أن الحركة التى قامت بها الأردن كانت مؤيدة تماماً من جانب لبنان وأنها قوبلت
بالترحيب فى بغداد حيث تكرر الرأى بأن حلف بغداد لا يحتاج لأن يكون مانعاً للوحدة
العربية . . .

ثم عادت التيمس تقول :

— أن لبنان ومن المحتمل سوريا أيضاً قد لا تتقبلان رفض الرئيس المصرى بالارتياح
وأنها قد تفكران فى أن الرئيس جمال عبد الناصر ليس هو البطل العربى فى كل الأمور .
وأنه إذا كانت هناك تسوية مع إسرائيل فانهما تفضلان أن تكون لهما يد فيها أو أنهما
لا تريان أن حلف بغداد هو حجر العثرة الذى كشف عنه الرئيس المصرى .

أن هاتين الدولتين (أى سوريا ولبنان) ستظلان تتساءلان .

ثم قالت التيمس فى النهاية :

— إلى مدى ستتأثر مصالح الدول العربية بوجهة النظر المصرية ؟

انتهى كلام التيمس

وهكذا بدأ الفصل الجديد يكشف عن شخصية كاتبه ومصممه ومخرجه . . .

أن المادة فى هذا الفصل ليست جديدة .

نحن نعرفها والعرب يعرفونها أيضاً ويعرفون مصدرها على سبيل التأكيد .

فهو نفس المخرج الذى سعى إلى رؤساء الحكومات العربية حينما وجه إليهم الرئيس جمال الدعوة للاجتماع فى القاهرة عقب الإعلان عن الحلف التركى العراقى سنة 1955 ، وقال المخرج لرؤساء هذه الحكومات :

كيف تقبلون الدعوة وتتوجهون إلى القاهرة ، أنكم أن فعلتم هذا فأنكم تكونون كالعساكر تصدر إليكم الأوامر فتقبلونها .

" أن جمال عبد الناصر يفعل معكم كما كان يفعل هتلر مع رؤساء الحكومات الأوربية يوم أن كان يأمر فيطاع وكما فعل هتلر على وجه التحديد مع رئيس وزراء بلغاريا ، هل تقبلون على كرامتكم أن تكونوا كرئيس حكومة بلغاريا فى عهد هتلر ؟ أن كرامتك تأبى ولا شك "

ولما لم يجد هذا اللون من الدس والوقية لجأ المخرج إلى الوعد بالمساعدات الاقتصادية والفنية والعسكرية .

أظنه وضح الآن المخرج ؟

من هو المخرج الذى يملك المساعدات الاقتصادية والفنية والعسكرية يوزعها على عباد الله الذين يسيرون فى ركابه .

كان المخرج يتكلم دائما على لسان عميله نورى السعيد ومساعديه من العملاء الذين أرسلهم إلى كل مكان . د

ومع ذلك عقد الاجتماع ، وكان فشله أكبر نصر للقضية العربية ، إذ أنتقل بها من طور النفاق والمجاملات إلى مرحلة الصراحة والعلاج .

وكان النصر الحقيقى هو تحطيم القناع المزيف الذى حجب الحقائق عن رجل الشارع العربى ، وظهر لأول مرة وعى عربى حقيقى جعل من القضية العربية قضية كل عربى بعد أن كانت قضية نفر من الحكام الذين يتلقون التوجيه من خارج المنطقة العربية بل ومن أعداء العرب لينفذوها مشيئة لا ترد كما حدث فى كارثة فلسطين .

وأعود إلى حديثى .

أن النعمة لم تتغير .

ففى سنة 1955 قالوا لحكام العرب أن جمال عبد الناصر يأمركم ويسفه أحلامكم وأنتم الشيوخ والرجال الذين يجب أن يستمع جمال لنصحكم وخبرتكم . . .

واليوم فى سنة 1956 تخرج التيمس مؤيدة أبطال الفصل الجديد بنفس النعمة .
أن التيمس تتحدث عن جمال لكى تساعد الأبطال الجدد ولكن بلسان المخرج الأسمى
فهى تصور جمال بنفس الصورة التى يريد المخرج أن يثير بها النفوس فتقول : " أنه يرى
نفسه الزعيم الذى لا منازع له فى العالم العربى ، وأن لبنان وربما سوريا قد لا تتقبلان
هذا الوضع ، إلى آخر ما أوردته على لسان التيمس فى هذا المقال .
وهنا أريد أن أقف قليلاً .

ليس لأن مثل هذه الدعاية الرخيصة تستحق أن أقف أو أن أناقشها ، وإنما أريد أن
أقف لكى أعود بذاكرتى إلى الوراء يوم أن زرت بغداد وقابلت نورى السعيد فى منزله
مقابلة دامت زهاء الساعتين ، تحدثت فى أولها عن مهمتى الأساسية .
وهى المؤتمر الإسلامى ، حديثاً لم يستغرق أكثر من ربع ساعة ثم أنفقنا الوقت الباقى
فى حديث عن السياسة العربية .

وأرانى مضطراً أن أورد ما جرى فى هذا الحديث لكى أوضح للأبطال الجدد .

1 – رأى نورى السعيد فى الأردن وهو أرض أبطال الفصل الجديد .

2 – أن الخلاف بين مصر ونورى السعيد ليس خلافاً شخصياً كما صورته لنا نورى

السعيد بتوجيه من المخرج الأسمى كما هو الحال دائماً .

3 – ماذا طلب منى نورى السعيد أن أبلغه لجمال .

ولا يهمنى فى ذلك أن ينكر نورى السعيد ، فقد سجلت عقب المقابلة فى مفكرتى كل ما

دار ، وأكثر من ذلك ، فأن أكثر من واحد من رجالات العراق سمع منى كل هذا الذى

سأرويه عقب مقابلتى لنورى السعيد فى بغداد .

وأظن أن هذا الحديث الذى أرويه فى الصفحات التالية ليس بخاف اليوم فى العراق .

سمعت فى بغداد

تذكر يا أذى ما كتبتة عقب عودتى من رحلتى فى بلادى العربية عن الأردن ، وقد أعلن أراءته على تلك الصورة البطولية الرائعة فى أول مقال صدر لى يوم 24 ديسمبر سنة 1955 .

وقلت فيه بالحرف الواحد :

شهدت أحداث الأردن .

نعم شهدت أحداث الأردن عشت فيها من قبل أن تقع ومن قبل أن أزور الأردن تلك الزيارة الخاطفة .

شهدت أحداث الأردن وعشت فيها من يوم أن وطئت قدمائ أرض لبنان الشقيق .

ومن بعد أن عشت يومين فى سورية الحبيبة .

ويوم أن وصلت إلى عمان حاضرة الأردن المكافح .

وحين زرت الظهران عاصمة الزيت على الخليج العربى وجلست أستمع إلى شيوخ

القبائل اللاجئين من منطقة البورىمى اكتملت لدى خيوط أخطر مؤامرة شهدها تاريخ هذه المنطقة من العالم .

أن المسألة ليست انضمام الأردن إلى حلف بغداد الإنجليزى كما أنها ليست محاولة

التأثير على لبنان لدخول هذا الحلف الشقى .

وأما هى حرب يائسة تشنها بريطانيا وتعد لها منذ أمد طويل فى ميدان يمتد من حدود

تركيا الجنوبية شمالا ، إلى شواطئ المحميات على بحر العرب جنوباً .

وهدف هذه الحرب هو القضاء على الوعى العربى بعزل شعوب الأمة العربية بعضها

عن بعض كخطوة أولى ثم إرغامها على الدخول تحت النفوذ والاستعمار البريطانى بعد أن

تصبح كل مقدراتها وأزاقها وسلامتها تحت رحمة إنجلترا وجنود إنجلترا ونفوذ إنجلترا .

وتحدثت فى ذلك المقال عن الدعاية البريطانية الخبيثة وكيف أنها كادت تقنع الرأى

العام اللبنانى أن هناك انتقاما لا بد سيقع على سورية من أجل السياسة الاستقلالية التى

انتهجتها وكيف أن الناس في لبنان صدقوا لدرجة أن أصبحوا مشفقين مما سيقع وكأنه حقيقة واقعة أو واقع لا مفر منه ، وكيف أن سياسيا لبنانيا كبيرا كشف لى عن مخاوفه فى قالب أتراح يتلخص فى ضم سورية إلى العراق للأسباب الأربعة الآتية :

1 – التخلص من أطماع تركيا فى سورية والعراق .

2 – مواجهة الخطر الإسرائيلى بدولة كبرى تعدادها حوالى العشرة ملايين .

3 – التخلص من نوري السعيد

4 – (وهو الأهم) الراحة نهائيا من خوف انتقام إنجلترا من سورية .

وذكرت فى مقالى يوم ذاك ما قاله ذلك السياسى ردا على سؤال لى من أنه يرى أن لا مانع لديه من أن يمتد النفوذ البريطانى من العراق إلى سورية حتى تنتهى مشكلة إسرائيل هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى أريد أن أبصرك أيها الأخ العربى أيضا بظروف زيارتى لبغداد .

فيوم أن وصلت إلى بغداد يوم 19 ديسمبر 1955 كنت قد غادرت عمان عاصمة الأردن المكافح ، قبل ذلك بخمسة أيام .

وكنت قد أمضيت زيارتى أثناء وجود الجنرال تمبلر فى عمان الذى كان قد سبقنى إليها بأكثر من خمسة أيام ولم يسافر إلا عقب أن سافرت منها بيومين .

ويوم أن وصلت بغداد لم يكن الأردن قد هب هبته المشهورة بعد ، وأما كانت وزارة المفتى قد استقالت وهزاع المجالى يجرى استشاراته لتأليف وزارة جديدة ، من أجل ذلك كان يداعب خيال نوري السعيد وأنا جالس إليه أمل كبير فى أن تنضم الأردن إلى حلفه ثم يأتى دور لبنان كما كان يتعشم وبذلك تتحكم الحلقة حول سورية وتعود الأمة العربية ثانياً إلى حظيرة إنجلترا بفضل جهود رجلها نوري السعيد .

أن الأردن دولة مصطنعة دولة لا دخل لها ولا أيراد ، ومن مصلحتها أن تدخل الحلف لتأخذ معونة .

هذا هو رأى نوري السعيد الصريح فى الأردن .

فما هو رأى أبطال الفصل الجديد وهم من هذا الأردن الذى يصفه نورى السعيد بأنه مصطنع ؟

وما جدوى هذا الفصل البطولى فى التوفيق بين مصر ونورى السعيد وهذا هو رأى نورى السعيد فى وطن الأبطال .

الحقيقة أننى أريد أن أقولها كلمة مخصصة لأبطال الفصل الجديد.

أن مصر قد حددت سياستها واضحة صريحة ونصت عليها فى دستورها ، والخاص والعام فى الأمة العربية يستطيع أن يعرفها ويشرحه ، سياسة استقلالية تؤمن بالوطن العربى ككل لا يتجزأ ، وتحارب الاستعمار وأعوان الاستعمار وأساليب الاستعمار .

ونورى السعيد هو الآخر حدد سياسته واضحة صريحة فربط مصيره بالغرب حلفا ومعاهدة وتاريخا ومصالح .

فأين أنتم يا حضرات الأبطال الجدد من هذين الخطين ؟

وما هى حقيقة الدور الجديد الذى ترغبون تمثيله ؟

أن ألفاظ الوحدة العربية وجمع الكلمة وتوحيد الصفوف ألفاظ جميلة براقية مطاطة فقولوا لى بربكم كيف ستجمعون بين الخطين ، خط مصر الواضح وخط نورى السعيد الواضح أيضا وهما ضدان لا يلتقيان ؟

الأجدر بالفصل الجديد لكى تكون فيه جدوى أو بطولة أن تخرجوا لشعوبكم بقرار واضح صريح كما خرج جمال فى مصر وكما يفرض نورى السعيد فى العراق .

وساعتها ستقول شعوبكم كلمتها ، وستكونون على أية حال جديرين بالاحترام لأنكم صارحتم شعوبكم وناديتم بما تؤمن به أنفسكم .

أما أن يخرج من آن لآخر بطل يريد أن يمثل فصلاً جديداً تحت اسم الوحدة وجمع الكلمة وتوحيد الصفوف طلباً للتصفيق وتعمية للشعوب عن حقيقة المأساة فهذا لم يعد أحد يقبله أو يأبه له .

أن هذه البطولة تضليل طالما ساق هذه الأمة العربية إلى الهلاك .

أن سياسة مصر لا تختلف فى شىء على الأطلاق مع ما يريده شعب العراق ، وما يريده
شعب الأردن وما يريده لبنان وجميع شعوب العرب .

ولكنها تختلف مائة فى المائة مع ما يريده نورى السعيد .

ونحن نؤمن هنا أن نورى السعيد ليس العراق ، فالعراق العربى نعرفه عبر التاريخ فى
ثوارته واحداها يذكرها نورى السعيد جيدا وتذكرونها معه أيها الأبطال الجدد وتذكرون أنه
يرفض السيطرة البريطانية ويرفض الاستعمار وتذكرون أيضا يا حضرات الأبطال أن شعب
العراق ثار فى القريب لمجرد تعديل معاهدة فما بالكم بحلف أجنبى تدخل فيه إنجلترا عدوة
هذا الشعب وصانعة إسرائيل والجلاد الذى قتل أبناء هذا الشعب .

اذكروا هذا جيدا ووفروا على أنفسكم الدور البطولى الجديد ، فإن الشعوب قد تيقظت ،
وهيا بنا نتصارع ونصارع شعوبنا بدلا من هذا الدجل وذلك التضليل .

والآن ، أنتقل بك أيها الأخ العربى إلى الجزء الثانى من حديث نورى السعيد لأنك
رأيه فى السياسة العربية صريحا واضحا ، وكيف يريد حل مشكلة إسرائيل بنص حديثه .

